المحاضرة السابعة: مصنفات المالكية في المغرب الإسلامي

أولا: الأمهات

لقد حظيت المدرسة المالكية بعلماء صنفوا منذ وقت مبكر على منهج الإمام مالك صاحب الموطأ، أمثال ابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم، ثم اعتنى تلاميذهم من بعدهم بتلك المدوّنات الفقهية فرتبوها وأصّلوا لها، كما هو الشأن بالنسبة لسحنون في مدونته، وابن حبيب في واضحته، وابن المواز في موازيته، وإسماعيل القاضي في مبسوطته، وغيرهم كثير.. إلاّ أن الذي حاك في الصدر أنّه لم يصلنا من هذا الكم الهائل إلاّ قلة قليلة، قد تضافرت عوامل جمّة على إتلافه وحرقه، من أهمها. - الخلافات الطائفية والصراعات الفقهية - استيلاء الجهال على سدّة الحكم - الاستعمار أي الاستخراب بأنواعه وألوانه إن الناظر في تراث السادة المالكية لا يجد إلا أسماء دون مسميّات وعناوين من غير مؤلفات، يقول عمر الجيدي "ففي خلافة أبي يوسف يعقوب الموحدي انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن جرد ما فيها من حديث وقرآن فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وجامع ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد القيرواني ومختصره وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها، وهي أجود ما ألف في فقه المالكية ... و قد شوهد عند الإحراق كتب الفروع يؤتى منها بالأحمال، فتوضع ويطلق فيها النار "[32]، ومع كل هذا الرزايا التي نزلت بهذا العلم إلاّ أنّ هذا لم يثنهم، بل عمدوا الى مدارسة العلوم وحفظ الفنون حتى كان منهم من يحفظ الأمهات[33] [34]. إذا قلنا أن المتقدمين قد حفظوا المذهب وجمعوا تراثه، فإن المؤسف أنّ كثيرا من تراث المدرسة المالكية بالمغرب ما يزال مخطوطا بالخزائن العامة والخاصة، ينتظر من ينفض عنه غبار الزمان. إن فقهاء المدرسة المالكية قد أحاطوا بعلم الفقه فصنفوا فيه الأمهات والموسوعات والمختصرات والشروح والحواشي والمنظومات. أمهات المدرسة المالكية ثلاثة وهي:

أ- **المدونـة(المختلطة):** للإمام عبد السلام سحنون المتوفى سنة 240هـ ، وهي أكثر كتب المذهب دراسة وتعليقا وشرحا واختصارا، قال سحنون يوصي تلاميذه بها "عليكم بالمدونة فإنّها كلام رجل صالح وروايته...وهي بمنزلة أم القرآن من القرآن تجزي في الصلاة عن غيرها، ولا يجزي غيرها عنها"[35].طبعته الأولى طبعت بمطبعة السعادة عام1323هـ.

ب-الواضحـة: لعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة 238 هـ أشهر فقهاء الغرب الإسلامي، لمّا بلغ سحنون خبر وفاته قال "مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا"[36] ألّف واضحته في الفقه والسنن مقتفيا فيها منهج الإمام مالك، الجامع بين الفروع والأصول[37].

ج-**العتبية أو المستخرجة**: لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي المتوفى سنة 254 هـ كان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل كان ابن لبابة يقول "لم

يكن أحد هاهنا يتكلم مع العتبي في الفقه، ولا كان أحد بعده يفهم فهمه إلاّ من تعلم عنده"[38].

ثانيا: أهم مصنفات المدرسة المالكية في الغرب الإسلامي

أمّا التأليف فقد بذل فيه المغاربة جهدا لا يقارن، ونشطوا فيه نشاطا لا يقاوم، فأخرجوا كما هائلا ، ما طبع منها هو نزر يسير إذا ما قورن بما لا يزال حبيس الأدراج وسجين الرفوف ينتظر أن تمتد له يد الرعاية تحقيقا ونشرا:

1-التهذيب: لأبي سعيد خلف بن القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي من حفاظ المذهب.

2- النوادر والزيادات: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386هـ حاز رئاسة الدين والدنيا وإليه كانت الرحلة من الأقطار، ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه[39].

3- الجامع لمسائل المدونة والمختلطة وزياداتها ونظائرها وشرح لما أشكل منها: لابن يونس أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي المتوفى سنة 451هـ، كان إماما عالما فرضيا[40].

4-التبصرة: لأبي الحسن علي بن محمد الربعي القيرواني المعروف باللخمي المتوفى سنة 478هـ، كان فقيها فاضلا ديّنا متفننا ذا حظ من الأدب[41].

5- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة:لأبي الوليد محمد بن رشد المعروف بابن رشد الجد المتوفى سنة 520 هـ، المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات[42].

6- شرح التلقين :للإمام أبى عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المتوفى سنة 536 يعرف بالإمام، وهو إمام أهل أفريقية وما وراءها من المغرب[43].

7- النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام: لأبي الحسن علي بن عبد الله المتيطي الجزيري الأندلسي المتوفى سنة570 للهجرة، كان عالما عمدة محققا عارفا بالشروط وتحرير النوازل[44].

8- المختصر في الفقه المالكي: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المتوفى سنة 803هـ، كان ذا دين متين وعقل رصين وحسن إخاء وبشاشة وجه[45].

9- فتح الفتّاح: لأبي علي الحسن بن رحال المعداني) صاعقة العلوم(المتوفى سنة 1040هـ فقيه مدقق وعالم محقق، شرح فيه مختصر خليل في 20 مجلداً.

10-المعيار الجديد: لأبي عيسى المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر العمراني الوزاني المتوفى سنة 1342 هـ مفتي المغرب، ويعتبر كتابه هذا موسوعة فقهية هامة، ويعرف بالفتاوى الكبرى.

11- لامية الزقاق : لأبي الحسن علي بن قاسم الزقاق الفاسي المتوفى سنة 912 هـ، العلامة المتفنن في علوم شتى العمدة الفهامة[46]، ولاميته في ما جرى بها عمل فاس.

12- تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام: لأبى بكر بن عاصم المتوفى سنة 829 هـ، العالم الكامل المحقق المطلّع المتفنن في علوم شتى، المرجوع إليه في المشكلات والفتوى"[47].

13- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: لمحمد بن محمد بن عبد الرحمان الرعيني الشهير بالحطاب المتوفى سنة 954 هـ، "المحقق المطّلع المتبحر في العلوم نقليها وعقليها"[48].

14- أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك ابريز الشيخ عبد الباقي: لمحمد بن أحمد الرهوني المتوفى سنة 1230هـ، "العلامة المتقن المطلّع، إليه المرجع في المشكلات، وعليه دارت الفتوى بالمغرب"[49]. وقد ألفوا في فقه الحديث كتبا تعتبر من أهم الشروح الحديثية التي اعتنت بتقرير المذهب المالكي وتقعيد المسائل الخلافية مع مقارنته بالمذاهب الأخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

15-التمهيد لمّا في الموطأ من المعاني والأسانيد والاستذكار: لابن عمر يوسف بن عبد البر المتوفى سنة 463هـ، حافظ، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته.

16-المنتقى في شرح الموطأ: لأبي الوليد سليمان بن خلف المعروف بالباجي المتوفى سنة 474هـ، "الحافظ النظّار العالم المتفنن المتفقه على جلالته علما وفضلا ودينا"[50] وهو مختصر من الاستيفاء وهو "أحسن كتاب ألف في مذهب مالك لأنّه شرح فيه أحاديث الموطأ وفرّع عليها تفريعا حسنا"[51].

17- المعلم بفوائد مسلم: لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المتوفى سنة 526هـ، "خاتمة العلماء المحققين والأئمة والأعلام المجتهدين الحافظ النظّار"[52].

18-اكمال المعلم في شرح مسلم: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفى سنة 544هـ، " قدوة العلماء الأعلام عمدة أرباب المحابر والأقلام، سارت مآثره مسير الشمس والقمر"[53].

19- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: لضياء الدين أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 656هـ، "الإمام العمدة العلامة الفقيه المحدث المتفنن الفهامة"[54]. وغير هذه الكتب كثير متنوع. أمّا الأصول فقد كثر التأليف في هذا الفن وأقتصر على بعض كتبه:

20-إحكام الفصول في أحكام الأصول: لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة474هـ، ويعتبر هذا الكتاب عمدة

21-المحصول في علم الأصول: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة 543هـ، من أهم كتب الأصول عند المالكية.

22-تقريب الوصول إلى علم الأصول: لمحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى سنة 741هـ وهو كتاب مختصر صنّفه لولده ليقرب له الأصول باختصار.

23-مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول: لأبي عبد الله محمد بن أحمد التلمساني المتوفى سنة 771هـ، كان من أعلام العلماء والأئمة الفضلاء في عصره بإجماع[55].و هو كتاب هام جدا ربط فيه فروع المالكية بأصولهم.

24-الموافقات في أصول الشريعة: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المتوفى سنة 790هـ، " أحد العلماء الثقات الفقيه الأصولي المفسر المحدث"[56]، وكتابه هذا لا نظير له.

25- مراقي السعود: لعبد الله بن الحاج إبراهيم المتوفى سنة 1232هـ، وهو أحد علماء شنقيط البارزين في علوم الشريعة، وكتابه هذا نظم مختصر. أمّا القواعد الفقهية فقد ضربت فيه المدرسة المالكية المغربية بسهمها وأهم هذه الكتب:

26-أصول الفتيا في الفقه على مذهب الإمام مالك: لأبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني المتوفى سنة 361هـ، "كان حافظا للفقه متقدما فيه نبيها ذكيا فقيها فطنا، متفننا عالما بالفتيا، حسن القياس في المسائل"[57]، هو أول ما ألف في بابه.

27- القواعد: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني الشهير بالمقري المتوفى سنة 758هـ، وهو أحد محققي المذهب الثقات وأكابر فحوله الأثبات، وكتاب القواعد اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة، وهو كتاب عزيز مفيد لم يسبق إليه[58].

28- ايضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك: لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني المتوفى سنة 914 هـ، العالم العلاّمة العمدة المحصل الفهامة المحقف المطلع، وله عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق.

29- شرح قواعد الزقاق: لأبي العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي المتوفى سنة 995هـ، "خاتمة علماء المغرب المتبحر في كثير من العلوم خصوصا أصول الفقه، المحقق الفاضل العلامة العمدة الكامل"[59]، وهذا الكتاب شرح فيه قواعد الزقاق.

فهرس المصادر والمراجع

1. الإحاطة في أخبار غرناطة: ابن الخطيب، ت: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977.
2. طبقات أبي العرب
3. رياض النفوس للمالكي
4. طبقات الخشني
5. معالم الايمان للدباغ

5 الإحكام: ابن حزم، ت:جماعة من العلماء، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1404هـ. 3

.6إحكام الفصول: الباجي، ت: محمد عبد الله محمد الجبوري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1989.

7. أدب الفقهاء: عبد الله كنون ،بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1984.

5. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس الناصري، ت : جعفر الناصري ومحمد الناصري، المغرب، دار الكتاب،1997 .

6. التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد: ابن عبد البر ، ت: لجنة من العلماء، ط المغرب، ط 1.

7. دراسات في مصادر الفقه المالكي: ميكلوش موراني ، تر : سعيد بحيري و آخرون ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1988.

8. الديباج المذهّب: ابن فرحون، القاهرة، دار التراث.

9. ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض

10. جذوة المقتبس:

11. شجرة النور الزكية: محمد بن مخلوف ، بيروت، دار الكتب العلمية .

12. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: ابن بشكوال ، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955

13. طبقات الفقهاء: الشيرازي، ت: إحسان عباس، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1981.

(المقال منقول من أحد الأساتذة الأفاضل لم أتحصل عليه جزاه الله خيرا)